_ المحاضرة الأولى : مدخل إلى النقد الأدبي الحديث (1)

Introduction to modern literary criticism (1)

- **أهداف المحاضرة:**

_ أن يتعرف الطالب على مفهوم النقد وواقعه والأسباب التي أدت إلى ظهوره في العصر الحديث مع أهم رواده .

_ أن يتعرف الطالب عن أسباب التواصل والانفتاح بين العالم العربي والعالم الغربي.

- **القراءات المساعدة :**

_ في الأدب و النقد :..... محمد مندور

_ تاريخ النقد الأدبي عند العرب :.....إحسان عباس

- **أسئلة المحاضرة :**

_ ما هو مفهوم النقد لغة و اصطلاحا؟

_ ما هي الأسباب و المعطيات التي أدت إلى ظهور النقد الغربي الحديث؟

_ ما هي الإرهاصات التي أحاطت بظهور النقد الأدبي الحديث؟

_ ما المقصود بالتيار العلمي و التيار الفلسفي الذي ارتبط به التفكير النهضوي؟

_ ما هو واقع النقد العربي الحديث في ظل هذه الظروف؟

- **تمهيد :**

كانت الظروف التي أحاطت العالم الغربي من نهضة فكرية وثقافية واجتماعية الأثر الأكبر على العالم بصفة عامة ، وعلى العالم العربي بصفة خاصة في جميع المجلات بما فيها النقد العربي الحديث ؛ وذلك بما أوقعه فيه من هزة ووقع مست أهم أسسه وقواعده الشعرية ، ببعض النقاد العرب الذين تأثروا بأهم التيارات النقدية والفنية والفلسفية والأدبية السائدة آنذاك في العالم الغربي في مطلع القرن العشرين؛ فتوجهوا بطموحاتهم إلى بعث الشعر العربي والرّقي به من جديد بما يتلاءم وروح العصر . وقبل التوغل في تفاصيل هذا التأثر، والحديث عن أعلامهم وأفكارهم، يجدر بنا معرفة مفهوم النقد الادبي لغة واصطلاحا.

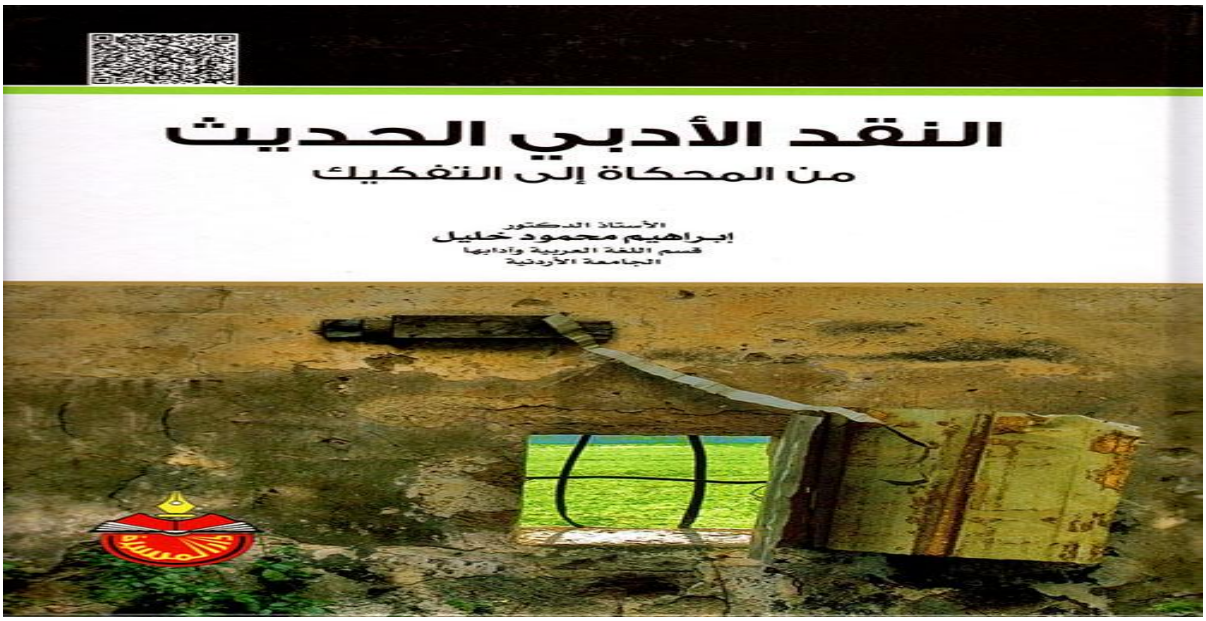

1_ النقد : المفهوم والمصطلح

النقد لغة هو:" تمييز الدراهم ، و نقد الشيء إذا نقده بإصبعه، وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر، و نقد الرجل الشيء بنظره، و نقد إليه اختلس النظر نحوه، و نلاحظ شدة تقارب معنى النقد الأصلي والنقد المجازي "[1]؛ فكلاهما يراد به التمييز والفصل. يقول ابن فارس: "إن نقدت الناس نقدوك"؛ أي: عبتهم واغتبتهم ،..و نقد الدراهم؛ أي: أخرج منها الزيف، وناقدت فلانًا، إذا ناقشته بالأمر"[2]، وعلى العموم فإن النقد لغة بمعنى ميز الصحيح من المزيف وهو تقارب بين اللغة والمصطلح كما يشير محمد التنوجي في قوله :".. وأن المعنيين اللغوي والاصطلاحي لا يختلفان، فنقد الأدب تناوله و دراسته، و النظر فيه، ومناقشته، وسمات القبح التي اتضع بها، ونقد الأدب، إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن، ونقد الأدب إشارة بإجادة المجيد وثلب للمقصر المسيء فالنقد هو العدل بالمشاهدة والفحص لا بالأهواء والميول" [3] ، في حين نجد أن استعمالات النقد في مجال الأدب القديم عند العرب قديم قدم الكتب النقدية العربية فقد ذكرها " الزمخشري(ت 538 ه) وكانت معروفة قبل عصره بقرنين من الزمان، فابن قدامة(ت 337 ه) ألّف نقد الشعر وورد لفظ النقد والنقاد في كتاب الموازنة للآمدي(ت 371 ه) ، كما أن ابن رشيق (ت 463 ه) أسمى كتابه العمدة في صناعة الشعر ونقده وغير ذلك.."[4] ؛ فمصطلح (النقد) موضوع قديم يتسع باتساع الحالات الوظيفية العامة المستعملة له ، مع تعدد الدلالات التي ارتبط بها ويشير إلى هذا محمد مندور في قوله :" فالنقد الأدبي سابق للتاريخ الأدبي فمن الطبيعي أن يكون خالق الأدب ناقدا ، ومن المعلوم أن شعراء العرب أنفسهم في الجاهلية كانوا نقادا ، وقد ضربت للنابغة خيمة يحكم فيها بين الشعراء، كما كان أول نقاد اليونان (أرستوفان) شاعرا روائيا، وقد خصص رواية بأكملها لنقد رواية التراجيديا

---

[1] _ محمد التونجي :المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية -بيروت ط،2 ، 1999 ، ص7

[2] _ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج2 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق ، سوريا ، ط1 ،1979 ، ص577.

[3] _ محمد التونجي :المعجم المفصل في الأدب ، (م س) ، ص76

[4] _ المعجم المفصل في الأدب ، (م س) ، ص76

الثلاثة(أشيل) و(سوفوكل) و(يوريد) وهي رواية الضفادع.."[5]، هذا فيما يخص مصطلح (النقد)، فكيف يكون مصطلح (النقد الأدبي) ؟ وهل عرفه العالم العربي قديما؟.

2_ النقد الأدبي المفهوم و المصطلح:

إن مصطلح(النقد الأدبي) جديد على الساحة العربية إذ لم" .. لم تعرفه لغتنا إلا في العصر الحديث بعد الاتصال بالغرب ، هو ترجمة حرفية للمصطلح الغربي (littéraire criticisme) الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة مع اختلافها باختلاف النقاد لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض، و تفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه، في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد[6] "، وخلاصة تعريف النقد الأدبي كما يعرفه احسان عباس" النقد في حقيقته تعبيرٌ عن موقفٍ كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامَّةً، أو إلى الشِّعر خاصَّةً، يبدأ بالتذوُّق؛ أي: القدرة على التمييز، ويعبرُ منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، خطوات لا تُغنِي إحداها عن الأخرى، وهي متدرجةٌ على هذا النسق؛ كي يتَّخذَ الموقف نهجًا واضحًا، مؤصلاً على قواعد - جزئيَّة أو عامَّة - مؤيدًا بقوَّة الملكة بعد قوَّة التمييز"[7]، ولعل التوافق العجيب بين اللفظ العربي(نقد)المنقولة الدلالة من المشتق من فعل يوناني قديم (criticism) بمعنى يميز أو تمييز الدراهم إلى تمييز الأساليب ؛بحيث يمكن القول بأن هناك شبه اتفاق على أن " النقد هو فن تمييز الأساليب، كما أن التصورات الحديثة لمفهوم النقد ومهمة الناقد التي لم تعد كما كانت عليها في الماضي، ولم تعد المشكلات الأساسية التي تستوقف النقد الحديث كذلك التي كانت .تعترض طريق النقد القديم " [8] ، ومن هنا يبدو أن المدة الزمنية التي بدأ العالم العربي يعرف فيها مصطلح (النقد الحديث) تعود إلى السياق الزمني لمطلع القرن العشرين ؛أي عصر النهضة .

3_ إرهاصات عصر النهضة الغربية:

الحديث عن ارهاصات النهضة الغربية هو حديث عن أهم منعرج فكري وصل إليه الانسان فبعد تمركزه لقرون طوال حول المعتقد (الماورائي _ الأسطوري _ الديني) ، وسيطرة القوى الخارقة والميتافيزيقية عليه ، توصل من خلال توظيفه للعقل والمنطق والموضوعية إلى فهمه ؛و إدراكه لنفسه ولما حوله، وهي أهم الركائز التي اعتمدها في نهضته ، بعد أن تم له القضاء على كل القوانين التي تكبله من رجال الدين بما فيهم المؤسسة الكنسية الدينية المركزية آنذاك ، فكان أول ما بدأت به أوروبا لتتجاوز تلك المرحلة الظلامية هو إعادة بعث تراثها اليوناني " ....وإننا نعني بعصر النهضة ذلك البعث الجديد للتراث الفكري الذي ساد اليونان

وإيطاليا قديما" [9] ، فكانت الثقافة اليونانية ركيزة متينة للحضارة الغربية، وعلى هذا الأساس بدأت بجمع مخطوطاتها القديمة ؛ " ... بدأ (بترارك Pétrarque) (1304-1374) ، يجمع المخطوطات اللاتينية في ذلك العصر، تلك المخطوطات التي حافظ عليها أهل أوروبا إبان القرنين التاسع والعاشر، ولقد تطرق البحث إلى المكتبات المهجورة و الأديرة و غيرها من الأماكن الأثرية، و بهذا خرجت كتابات(شيشرون cicero) و(كونتيليان Quintilien) من الظلمة إلى النور، وكذلك أيضا مؤلفات الكثير من الشعراء والكتاب والمؤرخين والخطباء، وقرب نهاية القرن الرابع عشر وصل العالم اليوناني (مانويل كريزولوراس manuel chrysoloras) إلى فلورانسا وأخذ بعلم لغته اليونانية هناك، ثم تواردت المخطوطات اليونانية بعد ذلك إلى إيطاليا بكثرة غير معهودة [10]" ومع اقتراب القرن الخامس عشر بدأت تتشكل في أوروبا أراء ومعالم الاتجاه النقدي بصفة عامة إذ "... لم يقتصر هذا الذوق الفني على النواحي الأدبية فقط بل تعداه إلى أمور الحياة و مشاكل العالم والاتجاهات الفكرية بوجه عام، ولقد تعرضت هذه الدراسات اليونانية للطبيعة البشرية وأفاضت في الحديث عن الناحيتين الفكرية والخلقية، وتمركزت هذه الدراسات حول الإنسان وعظمته وقوة فكره مما ميزه عما عداه

---

[5] _ محمد مندور: في الأدب و النقد ، نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ، د ت، د ط ، ص5

[6] _ محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد -المصطلح النشأة التجديد - دار الانتشار العربي – بيروت لبنان - ط1 ، سنة .2006 ، ص57

[7] _ إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة: بيروت، ط4، 1983، ص5

[8] _ محمد كريم الكواز :البلاغة و النقد -المصطلح النشأة التجديد -(م س)، ص59

[9] _ فائق متى إسحاق : مذاهب النقد و نظرياته في إنجلترا قديما و حديثا، ج1، مكتبة الأنجلو مصرية – مكتبة النقد .الأدبي، القاهرة، ص49

[10] _ المرجع نفسه، ص80

من سائر المخلوقات" [11] ؛ لتكون هذه الأسس هي أهم عوامل التحرر والتنوير العقلي التي انبثقت من زعماء الفكر اليوناني كـ :(أفلاطون Platon) و (أرسطو Aristote) ، فكان المنطق الصوري خلاصة ما انتهت إليه البحوث الفلسفية آنذاك ، دون أن ننسى أثار العلماء المسلمين ، أو ما سبق تطويره في الفلسفة والطب من أمثال الفارابي (al Fârâbî) والغزالي (Ghazali) وابن سيناء(Avicenne) وابن رشد (Averroès) وغيرهم.

4_ عصر النهضة الأوروبية:

كل الارهاصات السابقة الذكر هي مستجدات قد أحطت به في النهاية إلى عصر اصطلح على تسميته بعصر (النهضة renaissance) ؛ ويعني تحرير الإنسان عن طريق العلم و الفلسفة ،الذي لا يكون صولجانه إلا للعقل ، وللمفكرين و الفلاسفة الذين اعتمدوا فيها على تيارين كان لهما الفضل في تأسيس هذه النهضة الحديثة ، أولهما (**النقد العلمي)** الذي "ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وذلك إثر النهضة الكبيرة التي ظهرت في الأبحاث العلمية والطبيعية وبخاصة في علم الحياة" [12] ؛ جعل للنقد مناهج خاصة به تميزه وتحدد له حيزا وسط باقي العلوم ؛ " فرأوا أنه يمكن اسقاط تطبيقاته ايضا على الأدب ؛ فلم يعد الدارس يكتفي بالمعاني اللغوية، والنكت النحوية ، والصور البيانية للألفاظ والتراكيب، لكنه جاوز ذلك إلى منهج عريض عميق، يعتبر الأدب ثمرة طبيعية لشيئين، البيئة و الأديب ويريد بالبيئة أهم ما تحمل من معنى، لتشمل جميع المؤثرات الطبيعية، والصناعية، والسياسية والاجتماعية والعلمية والفنية التي توافرت لشعب ما في عصر من العصور؛ فكانت عوامله الأدبية وتربته الصالحة لنضج الأدب وغرس الأدباء"[13] ؛ فكان ل (سانت بيف St.Beef) و(هيبوليت تين Hippolyte tin) ، أولى النقاد الذين أرسوا دعائم العلمية والموضوعية إلى عالم النقد في العصر الحديث ، بدايته كانت بعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم وعلى سبيل المثال نظرية التطور ل(داروين) وأصل الأجناس ،خاصة مع وجود منهج (كانط Kant) ؛ الذي جعل للعقل سبل أخرى للتفكير، وكلها روافد ومرجعيات ساهمت في صبغ النقد الأدبي الحديث صبغة مختلفة عن سابق عهدها، وصار يملك آليات ومنهجية تحيل إلى انتمائه وانفصاله عن علم معين.

أما التيار الثاني فهو(**التيار الفلسفي)** الذي يجب أن ننوه فيه إلى أبحاث (ديكارت) ،الذي اعتمد فيه على منهج الشك طريقا للوصول إلى الحقيقة ، إذ يقول : " للبحث عن الحقيقة يلزمنا، ولو مرة واحدة في حياتنا، أن نشك في جميع الأشياء" [14] ؛ و بالانطلاق من الشك يكون العقل هو الفاصل في حقيقة هذه القضايا و موضحا لمواطن اليقين والصدق فيها، كما أنه ربط بين الوجود والتفكير وضرورة اقتران كل طرف بالآخر عن طريق القول بـ: (الكوجيتو الديكارتي Cogito) ؛ أي

---

[11] _ المرجع السابق ، ص81

[12] _ محمد مندور: في الأدب و النقد ، نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ،د ت، د ط، ص14

[13] _ ،كارولي و فيللو : النقد الأدبي، ترجمة : فيني سالم، مراجعة :جورج سالم، منشورات عويدات -بيروت باريس -ط2 ، 1984؛ ص 35

[14] _ ديكارت : الشك المنهجي، من كتاب :محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة الحديثة - نصوص مختارة، افريقيا شرق 2000، المغرب، ط2 :2010،ص47

اثبات الحقائق بالبرهان" إنّ كوني أرى الفكر شاكا في حقيقة الأشياء الأخرى ؛ يقتضي اقتضاء بديهيا و يقينيا أنى موجود....."[15] ، وهي محاولات تصب كلها في تأسيس مبادئ المنطق الصوري الذي يعود فيه الفضل للمعلم الأول

أرسطو، " إن علم المنطق بدأ مع أرسطو كاملا ومنتهيا، و للعلم أن المنطق الأرسطي، تصدى للرد على السفسطائيين إذ يأخذ مسلماتهم كما هي ويحولها إلى صور منطقية في شكل مقدمات و نتائج يرغمهم على التسليم بها وهو ما يعرف في المنطق الأرسطي بالقياس" [16]، ومن خلال هذا التيار الفلسفي و المنطقي ظهرت القوانين التي يتبعها العقل و الفكر حتى لا يقع في الزلل والتناقض من خلال خطوات مرتبة تنطلق من الأسباب للوصول إلى النتائج .

[15] _إيمانويل كانط : نقد العقل الخالص، عن كتاب محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي :الفلسفة الحديثة – نصوص مختارة-ص51

[16] _لعموري عليش : مبادئ عامة في المنطق، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع -الجزائر- 2011 ، ص13